الاكتشافات الاثرية على الجانب الشرقي للبحر الميت في ضوء القصص القراني البحث عن قوم عاد

د. محمد وهيب على الحسين*

جاء في القرآن الكريم : { **واذكر آخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم** }[1]

ويفهم من هذا أن حضارة عادة كانت بالأحقاف وهو الرمل بين اليمن وعُمان إلى حضرموت والشحر (الشكل ٣)، وقد كان قوم عاد ذوو قوة وبأس يحسب لها حساب حتى أن بطليموس الذي كتب ما بين ١٢١ - ١٥١م يسترعي نظره وجودهم ويقوم هذا الجغرافي بوضعهم الخريطة التي رسمها للمنطقة وخاصة أهميتها على الطرق التجارية مع بلاد الشام.[2] ويذهب بعض المؤرخين أمثال المسعودي وأبي الفداء وابن خلدون إلى تحديد أماكن إقامتهم في الأحقاف بين اليمن وحضرموت وقد ورد ذكر عاد عند كثير من الشعراء أمثال متمم بن نويرة وسويد بن أبي كاهل وأمية بن أبي الصلت والطرماح بن حكيم.[3] وقد جاء ترتيبهم في القرآن بعد قوم نوح بدليل الآية: }**واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح**{ .[4]

ويذكر أن عهد النبي موسى يرجع إلى ١٥٠٠ عام قبل الميلاد وفي ذلك كانت عاد قد زالت أى أن فترة قوم عادت كانت بعد قوم نوح وقبل فترى النبي موسى - عليه السلام - وذكر القران ذلك } **وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم** { [5] ويمكن الاستنتاج أن عصر عاد يبدأ سنة ٢٢٠٠-١٥٠٠ ق.م أو ١٧٠٠ ق . م على سبيل القريب[6] وجاء في سورة الفجر {**ألم تر كيف فعل ربك بعاد، إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد**}* وهذه إشارة واضحة ومباشرة إلى حضارة قوم عاد حيث، يشير ابن كثير - رحمه الله - إلى أن أرم بيت مملكة عاد[7]

يحمل القرآن الكريم الدليل على براعة قوم عاد في الحضارة وفنون العمارة التي لم يسبق لها مثيل[8] واجتهد علماء الآثار في الكشف عن حضارة قوم عاد، وعُثر

---

* معهد الملكة رانيا للسياحة - الاردن

1 القرآن الكريم، سورة الأحقاف ، الآية ٢٠.

2 يحيى، لطفي، العرب في العصور القديمة، بيروت ١٩٧٩، ص ١٦٥-١٦٦.

3 الأصمعي، عبد الملك، تاريخ العرب قبل الإسلام، بغداد ١٩٥٩، ص ٩٧.

4 القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية ٦٩.

5 القرآن الكريم، سورة غافر، الآية ٣١.

6 مهران محمد بيومي، دراسة تاريخية من القرآن الكريم، الرياض ، ص ٦٤

7 ابن كثير ، الدمشقي تفسير ابن كثير، بيروت، ١٩٨١ ص ٥٠٨

8 ناد في مظفر الدين، التاريخ الجغرافي للقرآن ، ١٩٥٦ ،

في الأحقاف على مغائر محفورة في الصخور التي تراكمت عليها طبقات سميكة من الرمال، ويرجح أن كثبان الرمل في الأحقاف وفي المنطقة المجاورة لها تحتوي أسفلها على آثار لم تكشف بعد، وهذه المنطقة كانت خصبة فيما مضى بسبب ما كان يصلها من الأمطار الموسمية [٩]

الرحالة و الاكتشافات الأثرية

اختلف المفسرون في معنى "العماد" الواردة في القرآن الكريم فيذكر البعض أن العماد هي الجبال الشاهقة المرتفعة، بينما يشير البكري إلى أن العماد ربما يكون جبل ، فيقو: (وفي وادي إرم ، جبل يعرف بجبل عمود بالقرب من الديسة ، وعماد السماء هي الجبال العالية). ولمزيد من التوضيح أنظر / البكري، معجم ما استعجم ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ٩٧١، وهذه إشارة واضحة إلى وادي رم في الأردن الواقع بجانب الديسة، حيث أن هذه المنطقة تحتوي على جبال شاهقة ومرتفعة بحيث أنها تشكل أعلى جبال الأردن قاطبة عن مستوى سطح البحر وخاصة جبل أم عشرين، جبل إرم ، دبل أم الدامي، حيث تتراوح الارتفاعات ما بين ١٧٥٤ – ١٨٥٤ متر، مما جعلها متميزة وقطة استقطاب وجذب سياحي الأمر الذي دعا خبراء السياحة في الأردن إلى اعتبار وادي رم جزءا رئيسيا وركيزة أساسية في السياحة، واعتبر جزءا من المثلث الذهبي للسياحة في الأردن.

وقد زاد الله قوم عاد بسطة إذ أنه بعد هلاك قوم نوح نجى النوح على الأرجح جنوبا إلى حضرموت وسكنوا شمالها وكان أصحاب قوة وبأس وزادهم الله بأسا وبسطة في الجسم والمال، إذ تعالى في سورة الأعراف: } **واذكروا إذ جعلناكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة** { وأراد هؤلاء ألا ينسوا أجدادهم الذين نجوا من الطوفان فصنعوا تماثيل لتذكرهم بهم ثم حولوها للآلهة وعبدوها.[١٠]

وقد تناولت الروايات الكثيرة عن عِظم أجسادهم وبيوتهم إلا أن الباحثين لم يعثروا على عظام إنسانية في غابر القرون يمكن أن تنطبق عليها تلك الأوصاف الخارقة بل كل ما عرف عن الإنسان أنه يتفاوت بين الطول والقصر حسب اختلاف الأجناس ولكنه تفاوت محدود لا يخرج الإنسان عن إنسانيته ولكن كما يقال:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ويشتكي الفم طعم الماء من سقم [١١]

وقيل أن رجلا في حضرموت دخل إلى مدينة مزخرفة بالذهب والفضة والزبرجد والأشجار والمياه فظن أنها لجنة وقال كعب للخليفة مفسرا ذلك: إن هذه

---

[9] مهران محمد بيومي، المرجع السابق، ص ٥٤

[10] إبراهيم محمد إسماعيل، قصص الأنبياء والرسل، دار الفكر ١٩٨١، ص ٤٥.

[11] النجار، محمد الطيب، تاريخ الأنبياء ، مصر، ١٩٧٩، ص ٨.

المدينة صاحبها شداد بن عاد وهذه المدينة هي 'أرم' ذات العماد وهي التي وصفها الله عز وجل في كتابه أنه لم يخلق مثلها في البلاد. [١٢]

إن الكتابات القديمة التي عثر عليها في حضرموت تدل على وجود آلهة كثيرة يتعبد لها الحضرميون منها سين عشتار وحول شمس وكان الإله سين هو الإله الرئيسي لأهل حضرموت [١٣] لكن الدليل القوي والواضح يأتي من أرض الأردن ، فقد ذكر أن قوم قوم عاد كانت لهم مساكن في الأردن في ذروة الجبل المعروف بجيش أرم ويقال أنه توجد هناك نقوش فوق الأحجار وأن النقوش قد عبثت بها عوامل التعرية وأن كثيرا من هذه الآثار يمكن رؤيته في المنطقة التي تجاور جبل أرم. [١٤] وقد قامت كركبرايد Kirkibrid بالبحث في منطقة رم حيث وجدت عددا من الأدوات الحجرية وصحونا من الحجارة البيضاء الصلبة ورؤوس سهام صوانية، وأسنان مناشير صوانية كانت تستخدم في المناجل ولعل هذا يشير بوضوح إلى وجود استقرار مبكر في منطقة رم وانتشار للمخلفات الأثرية في المنطقة ابتداء من العصور الحجرية، وكشف عن موقدا للنار، إضافة إلى حجارة تشبه أنصاب القبور عليها محاولات لحفر أشكال بشرية. [١٥]

وقد ذهب موريتس إلى أن موضع ارم Aramaua الذي ورد عند بطليموس هو الآن وادي رم وقد أظهرت الحفريات التي قام بها المعهد الفرنسي في القدس صحة هذا الرأي، إذ ورد في الكتابات السبطية التي عثر عليها في مخلفات معبد اكتشف في رم، وهذا الموضع حافظ على اسمه القديم وأصبح يعرف بـ 'رم' بدلا من إرم، وقد قام هورسفيلد بالتعاون مع دائرة الآثار في عمان عام ١٩٣٢ بحفريات

في موضع جبل رم ويقع على مسافة ٢٥ ميلا إلى الشرق من العقبة في الأردن، ووجد آثارا قديمة متنوعة وكانت اكتشافاته بالإضافة لاكتشافات سافيغناك Savignas وغليدن Glidden قد دلت على أن هذا المكان هو موضع إرم الوارد ذكره في القرآن الكريم والذي كان قد حل به الخراب قبل الإسلام فلم يبق منه عند ظهور الإسلام غير عين ماء كان ينزل عليها التجار وأصحاب القوافل الذين يمرون بطريق الشام - مصر - الحجار. [١٦]

وقد استدل كثير من الباحثين على أن هناك بقية لقوم عاد بعد هلاكهم، ويخطئ من يظن أنهم هلكوا جميعا بالاستناد للآيتين : }فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم{ والقرآن

---

12 الجزائري، نعمة الله، قصص الأنبياء، لبنان، ١٩٧٨، ص ١٠٢

13 جبريل محمد، مدينة المهاجرين، حضرموت، ص ١٠.

14 موسيل الوس، شمال الحجاز، ص ٥٣.

15 N. Pstanly and A.N. Grand a prehistoric site in the Rum Area, ADAJ, 20 1975 pp. 91-93

16 علي جواد، مفصل تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج١، بغداد ١٩٦٨، ص ٥٠٣ - ٣٠٦.

يذكر أنه نجّا هود - عليه السلام - } **فأنجيناه والذين معه برحمة منا** { ، }وأنه أهلك عادا الأولى{ أما الذين بقوا مع النبي هود ونجوا من العذاب فهم عاد الثانية. وقد عثر على نقش عام ١٨٣٤ في أطلال حصن الغراب قرب عدن ومن ضمن هذا النقش عبارة نقلت من كتاب فورستر Forster الجغرافية التاريخية لبلاد العرب (Historical Geography of Arabia) يذكر "وقد اختاروا لنا شريعة محكمة مستمدة من ديانة هود، وكنا نؤمن بالمعجزات والبعث وإحياء الموتى بإذن الله" وقد استنتج من هذا النقش أنه يعترف بشخصية هود وأن اتباع هود هم وحدهم الذين نجوا من الهلاك وأنهم كانوا مهرة في فن البناء، والمؤرخون اليونانيون يطلقون عليهم اسم Oaditae ويمكن القول أن الأولين هم عاد إرم والآخرين عاد. إذ يذكر بطليموس Adrematae كذلك يذكر Adite.[١٧]

وقد لفت وادي رم اهتمام علماء الآثار والمتخصصين بهدف استكشاف ما يحويه من حقائق مادية حول أهميته التاريخية ، وقام فريق مشترك من دائرة الآثار العامة في الأردن بالاشتراك مع فريق معهد الآثار الفرنسي بإجراء دراسة ميدانية مسحية للوادي ولاكتشاف المخلفات الأثرية والكتابات والنقوش الصخرية وخاصة تلك المتواجدة قرب معبد اللات قرب سفح جبل أرم، ويتبين ن هذا المعبد الصغير الحجم ذو الشكل المكعب والذي تحيط به الأعمدة المنحوتة قطع اسطوانية الشكل يعتبر ذو أهمية كبيرة في الكشف عن حقيقة أرم، فقد وجد نقش حجري مستطيل الشكل قرب مدخل المعبد تبلغ قياساته ٥٥ × ٥،٢٧ سم، نقشت عليه كتابة بالخط المسند الجنوبي ترجمت على النحو الآتي: "لغوث بن أوس الله بن ثكم وبني بيت لات ذو العاد" هذه الكتابة بحسب خبير النقوش د. فوزي زيادين تشير بوضوح إلى أن المعبد كان في الأصل قد أنشأته قبيلة عاد المذكورة في القرآن الكريم، واستنادا إلى أعمال التنقيبات الأثرية التي جرت في المعبد عام ١٩٥٩ وأشرفت عليها كيركبرايد Kirkbride فإن المعبد يؤرخ إلى القرن الثاني قبل الميلاد، الأمر الذي يشير بوضوح إلى بقية قوم عاد وأن المعبد بناه غوث بن أوس الله من قوم عاد ، ولعل الدليل الآخر القريب من الموقع هو نقش نبطي وجد قرب جبل الجديدة عند خزان ماء تم ترجمته "ذكرى حيان بن عبد الله من أمام اللات الآلهة التي في إرم" وهذه دلالة واضحة على أن اسم الوادي أرم كان ما يزال معروفا حتى خلال الفترات التاريخية اللاحقة لقوم عاد[١٨] كما يذكر النقش اسم الحقبة الوثنية التي كان يعبدها العرب قبل الإسلام وهي آلهة اللات ، وحيث ورد ذكرها في القرآن الكريم. }**أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، ألكم الذكر وله الأنثى، تلك إذن قسمة ضيزى**{ [١٩]

---

[17] نادفي سيد مظفر، التاريخ الجغرافي للقرآن، ترجمة عبد الشافي ، ١٩٥٦، ص ١٨٢-١٨٥.

[18] زيادين فوزي، إرم ذات العماد، مجلة آثار، ١٩٩٨١، ص ١٨-٢١.

[19] القرآن الكريم سورة النجم ، الآيات ١٩-٢٢.

وهكذا فأن انطماس أخبار عاد قد يكون مرده أن الاخلاف أنكروا فعل الأسلاف مما حداهم لإخفاء سيرهم وعدم ذكرها، وبالتالي اندثار أخبارهم، و ها هي التنقيبات الأثرية تلقى مزيدا من الضوء في هذا المجال.[٢٠]

وعليه، فإن الراجح لدى الكتّاب والمتخصصين وعلماء الآثار أن موضع إرم هو ابتداء من وادي رم باتجاه جنوب جزيرة العرب لما عرف من عمرانه وجناته وكان التجار يشاهدون بقايا أطلال ومتعارف بينهم إنها بقية قوم عاد.[٢١]

إن ما كشف حتى الآن عن قوم عاد وعن عظمة إرم بحاجة لمزيد من البحث والتنقيب، لكنه يؤكد بشكل واضح ما ذكره القرآن عن وجود هذه الحضارة وعن دورها التاريخي من حيث ذكر القرآن الكريم إرم ذات العماد بقول }التي لم يخلق مثلها في البلاد{ ونظرة فاحصة إلى التراكيب الجيولوجية لجبال وادي رم من حيث طبقات الصخور وألوانها المتعددة وارتفاع مستوى جبالها والتي تعرف اليوم بجبال القمر ما هي إلا معجزة وآية طريق التجارة القديمة.

[20] جبريل محمد، مدينة المهاجرين ، حضرموت ، ص ٩.
[21] دوزة محمد عزت، تاريخ الجنس العربي، بيروت، ص ٧٧.

خارطة توضح مواقع قوم عاد

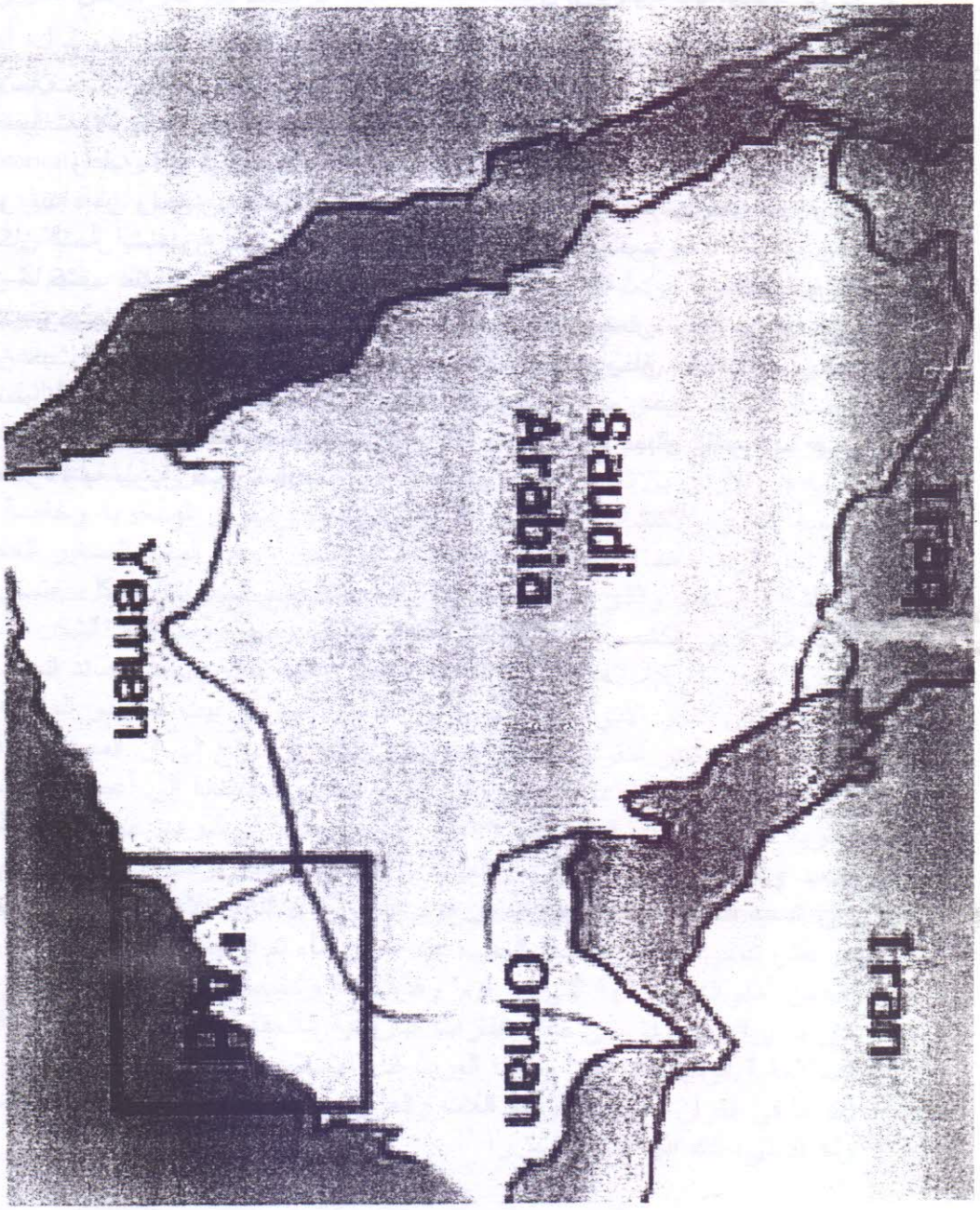

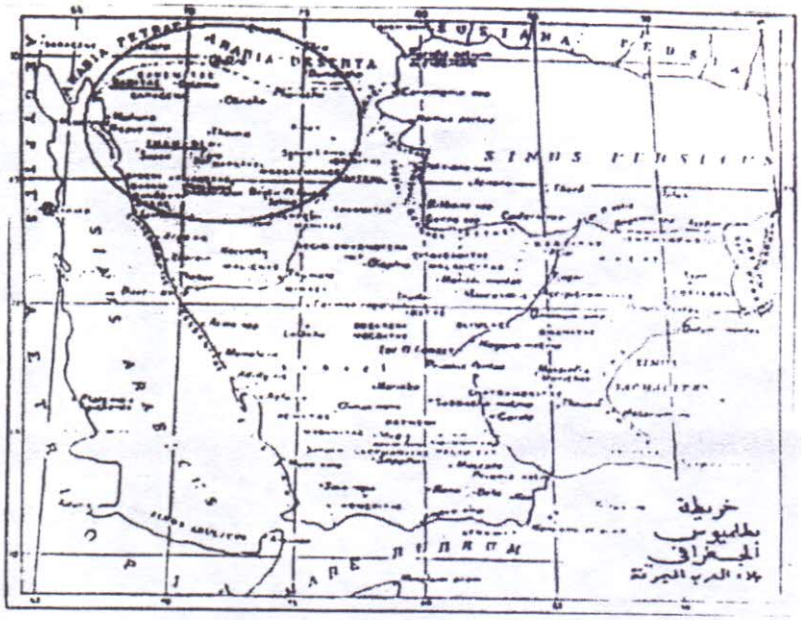

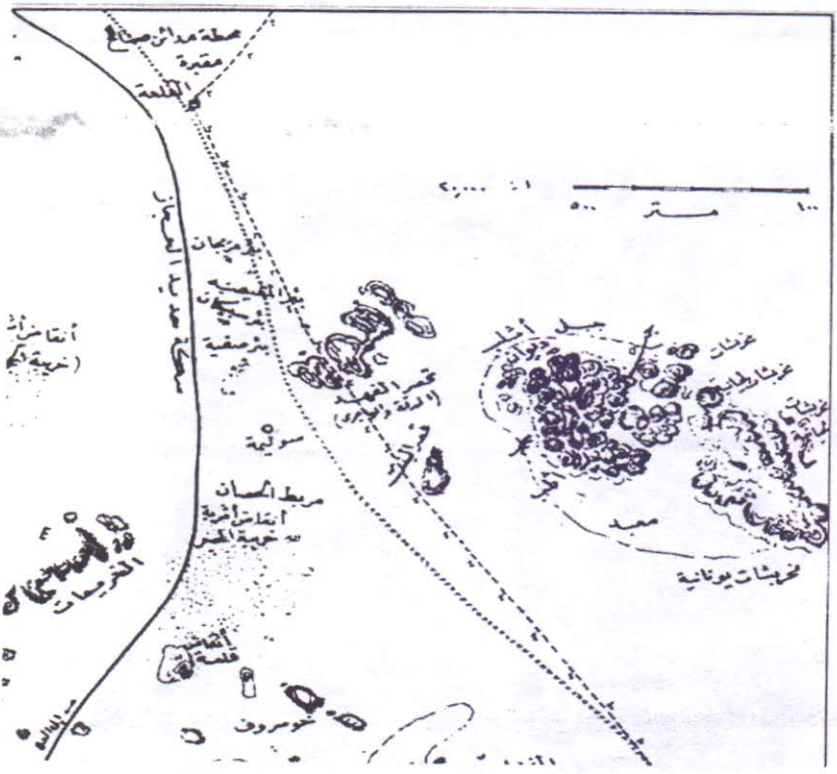

خرب أثرية في منطقة علا مدائن صالح